الـهـمَّـة فـي
طـلـب الـعـلـم

الشيخ / علي غازي التويجري

الأستاذ بكلية القرآن بالجامعة الإسلامية
والمدرس في المسجد النبوي الشريف
غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وعليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

الحمد لله الذي منَّ علينا بالاجتماع في بيتٍ من بيوت الله، وقد قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **«ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السَّكينة، وغشيتهم الرَّحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»**.

فهذه أربعُ جوائز الواحدة منها تُساوي الدنيا وما فيها.

وأيضًا من البشارة لأهل المساجد: الحديث الذي رواه الطبراني بسندٍ صححه الألباني أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: **«مَن جاء إلى المسجد لم يأته إلا لخيرٍ يتعلمه أو يُعلمه فله أجر حاجٍ تام حجه»**، أو كما قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

حديثُنا هذه الليلة عن **«الهمة في طلب العلم»**.

وحيثُ أن عندنا أمرين:

الأمر الأول: العلم.

والأمر الثاني: الهمَّة.

وسنجعل الحديث في شقين، فنتكلم في النقاط التالية:

❖ **المسألة الأولى**: أولًا: ما المراد بهذا العلم الذي على الإنسان أن يكون له همةٌ فيه أيُّ علمٍ هذا؟

❖ **والمسألة الثانية**: فضلُ هذا العلم.

❖ **والمسألة الثالثة**: حُكم تعلُّم العلم، مَا حُكْم تعلم العلم الشرعي.

❖ **والمسألة الرابعة**: في تعريف الهمَّة.

❖ **والمسألة الخامسة**: في ذِكر الأدلة من الكتاب والسنة على الحث على الهمة.

❖ **والمسألة السادسة**: نماذج من علو الهمة، في بعض مسائل العلم.

فأما العلم المُراد بالعلم إذا أُطلق في لسان الشرع: فهو العلم الشرعي، فمثلًا قول الله عز وجل: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، المُراد به العلم الشرعي.

وقوله جل وعلا: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨]، المُراد به: العلماء بالعلم الشرعي، فعند إطلاق العلم في نصوص الشرع، فإن المراد به العلم الشرعي هو العلم بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفهمِ سلف الأمة، العلم الشرعي هو ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفهم الصحابة فمن بعدهم؛ لأن الكتاب والسنة فهمها بعضُ الفِرق المنحرفة على فهم خاطئ، لكن المراد الكتاب والسنة بفهم الصحابة بفهم سلف الأمة، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مُبينًا لهذا العلم في **«نونيته»** قال:

العلـــمُ قـــال الله قـــال رســـوله قـال الصـحابة هـم أولـي العرفـانِ
مـا العلـمُ نصبُك للخـلاف سفاهةً بـين النصـوص وبـين رأي فـلانِ

ويقول ابن حجر في **«فتح الباري»**: المراد بالعلمِ العلم الشرعي الذي يُفيد معرفة ما يجب على المُكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص.

وهذا العلم الذي هو العلم الشرعي جاءت النصوص في بيان فضله، والنصوص كثيرة، ونقتصر على بعضٍ منها.

فمن مما ورد في فضل العلم في كتاب الله جل وعلا: قوله جل وعلا: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، هذه الدرجات عند الله جل وعلا.

فيرفعهم درجاتٍ عالية، وهذا أمرٌ يراه الإنسان في الدنيا قبل الآخرة.

ويقول جل وعلا: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨]، قال ابن القيم وغيره: **«هذه الآية تضمنت أمورًا، تضمنت أجلَّ شهادةٌ، وأجلَّ شاهدٍ، وأجلَّ مشهودٍ به»**، فأجلُّ شاهد هو الله سبحانه وتعالى: ﴿شهد الله﴾ وكفى بالله شهيدًا.

وأجلُّ مشهودٍ به هو التوحيد: لا إله إلا الله.

وأجل شهادة: الشهادة بالتوحيد.

واستشهد الله من بني آدم أولوا العلم فقط؛ لأنهم هم الثقات الأثبات، فدل على فضلهم.

ومما يدل على فضل العلم أيضًا قوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨] ، العلماء هم أهلُ الخشيةِ من الله، لكن الله قال: ﴿إنما يخشى﴾ ولم يقل: إنما

يخاف، ومالفرق بين الخوف والخشية، مع أنه جاء ذكر الخوف في القرآن، قال العلماء: الخوف هو فزعُ القلب، وأما الخشيةُ؛ فهي الخوف المبني على علم، فخوفُ العلماء خشية؛ لأنهم يعرفون ربهم، ويعرفون فضله واستحقاقه للعبودية جل وعلا.

ومما يدل على فضل العلمِ أيضًا من كتاب الله جل وعلا: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، وهذا استفهام، ولكنه ما جاء جواب هذا الاستفهام، لماذا؟ لأنه لا يختلف اثنان في أنه لا يستوي العالم مع غير العالم أبدًا، بل إنه حتى الدَّواب المُعلَّمة تتميز على غيرها، ولهذا أحلَّ الله أكل صيد الكلب المُعلَّم دون غير المُعلَّم، فالعلمُ شأنه عظيم.

ومما جاء في نصوص السُّنة وهي كثيرة، لكن نُريد أن ننتقي منها ما رواه البخاري ومسلم قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **«مَن يُرد الله به خيرًا يُفقهه في الدِّين»**.

وهذه بشارة لمن حرص على التفقه والتعلم فله نصيبٌ من الخيرية بقدر ما يحصل عليه من العلم.

ومن النصوص أيضًا: ما رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: **«لا حسدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته بالحق، ورجلٌ آتاه الله علمًا فهو يُعَلِّمه، أو آتاه الحكمة فهو يقضي بها»**، **«لا حسد»** المراد بـ(الحسد) هنا هو الحسد الغِبطة، وحسد الغِبطة جائز، لكن ما الفرق بين الحسد المُطلق وحسد الغبطة، الحسد المُطلق يتمنى أن نعمة أخيه تزول عنه ويأخذها هو، هذا حرام، أما الغِبطة ترى أخاك على خير وعلى نعمة، تقول: اللهم أقرِّ عليه نعمته، وأعطني مثله وزيادة. هذا جائز، فالنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: **«لا حسد»** أي حسد الغبطة، **«إلا في خصلتين»** فذكر **«رجلٌ آتاه الله مالًا»**

فقط آتاه الله مالا؟! لا قال «**فسلَّطه على هلكته في الحق**» أنفقه في سبيل الله.

«**ورجلٌ آتاه الله علمًا**» فقط آتاه علمًا وصار صندوق ما يُخرج شيء؟! لا فهو يقضي به ويُعلِّمه للناس.

ومن أدلة السُّنَّة أيضًا: ما رواه الإمام أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه بسندٍ صحيح كما يقول الألباني أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَن سلك طريقًا يلتمسُ فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**» الله أكبر، طريق إلى الجنة، الجنة هي أمنية المؤمنين فمن سلك طريقًا يلتمسُ فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة.

«**وإن الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يطلب**» الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم، رضًا بما يطلب، وهو العلم.

قال: «**وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ**» العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر يستغفر لفضل ما يطلب.

قال: «**وَإِنْ فَضَلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دينارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»، فهذا يدل على فضل العلم، العلماء الصادقون هم ورثة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يأخذون من ميراثه، ومعلوم أن أن الذي يأخذ الميراث هو أقربُ الناس إلى الموروث، الوارث الذي يأخذ المال هو أقربُ الناس إلى المورِّث، فالعلماء هم ورثة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالعلم.

ومما يدل على فضل العلم أيضًا: ما رواه الترمذي بسندٍ صحيح عن أبي أُمامة قال: «**ذُكر**

لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عالمٌ، والآخرُ عَابد، فقال ﷺ: فضلُ العالمِ على العَابدِ كفضلي على أدْنَاكُم» ثم قال: **«إن الله وملائكته وأهلُ السماوات والأرضِ حتى النَّملة في جُحرها، وحتى الحوت في البحر ليُصَلُّون على مُعلِّم الناس الخير»**.

ومن الأدلة أيضًا: ما رواه البزار والطبراني في **«الأوسط»** بسندٍ صحيح عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: **«فضلُ العلمِ خيرٌ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع»**، معنى الحديث: فضل العلم ما ليس واجبًا من العلم ما ليس واجبًا عليك، وسيأتي ما الذي يجب عليك وما الذي لا يجب عليك.

«خيرٌ من فضل العبادة» فمثلًا إنسان قال: أنا أُريد أقوم أُصلي صلاة نافلة، والآخر قال: أنا أُريد أحضر هذا الدرس مع أني قد سمعت الدرس مرة أو مرتين، أو الدرس في حكم الوقف أنا ما عندي شيء أوقفه، فما هو واجب عليه الذي يتكلم فيه المتكلم، لكن أُريد أن أحضره، نقول: أنت أفضل من الذي قام يُصلي؛ لأن فضل العلم خيرٌ من فضل العبادة.

ومنها الحديث الذي سبق أن ذكرناه: **«من غدا إلى المسجد لا يُريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلمه كان له كأجر حاج تامًّا حجته»** رواه الطبراني وصححه الألباني في **«صحيح الترغيب»**.

أيضًا هذه فضيلة احرص على غشيان المساجد بهذه النيَّة من أجل الخير تحضر تسمع العلم، تسمع كلمة الإمام أو الدرس، أو أنت تُعلِّمه، لك أجر حاج قد حج وتم حجه فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومما يحسن ذكره وفاتنا أن نذكره أيضًا أن الله قال في القرآن لنبيه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤] قال ابن حجر في **«الفتح»**: قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]

واضح الدلالة لفضل العلم، لأن الله تعالى لم يأمر نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يطلب الازدياد من شيء إلا من العلم، ما قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«اطلبوا الزيادة من الزوجات من المال»** من كذا لا، ما أمره يأخذ بالزيادة إلا من العلم، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤] وهذا دليل على فضله.

والأحاديث في هذا كثيرة نخلص إليحكم تعلم العلم، ما حكم تعلُّم العلم، هل يجب علي أن أتعلم أم لا؟ نقول: العلماء قسموا حكم تعلم العلم إلى قسمين، وبعضهم قال: ثلاثة ولا مشاحة في الاصطلاح، فالقسم الأول: قسمٌ واجب يجب عليك أن تتعلمه، وإن لم تتعلمه، فأنت آثم وعلى خطرٍ عظيم، وعليه يدل الحديث الصحيح عند ابن ماجه قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«طلبُ العلمِ فريضةٌ على كل مسلم»**.

جاء في بعض الروايات: **«ومسلمة»** لكن ضعيف، لكن الصحيح، لكن الصحيح: **«طلب العلم فريضة على كل مسلم»** والنساء شقائق الرجال، وإذا خوطب الرجال بشيء فالنساء مخاطبات إلا إذا قام الدليل على خلاف ذلك.

ما هو العلم الذي أطلبه؟

قال الإمام أحمد: **«يجب أن يطلب الرجل من العلم ما يقوم به دينه»** هذا القدر الواجب عليه ما يقوم به ديني يجب علي أن أطلبه، قيل مثل أي شيء الذي يقوم به دينك؟ قال: الذي لا يسعه جهله، صلاته، صومه، ونحو ذلك، كل مسلم لابد أنه يُصلي، فيجب عليك أن تتعلم الصلاة، كل مسلم يجب أن يتوضأ للصلاة، يجب عليه أن يتعلم الوضوء، كل مسلم يصوم يجب عليه أن يتعلم الصيام، ويقول الشيخ عبد الله بن جبرين رَحِمَهُٱللَّهُ: **«وقد يكون طلبُ العلم واجبًا على الإنسان عينًا»** أي فرضُ عينٍ **«وضابطه: أن يتوقف عليه معرفة عبادةٍ يُريد فعلها أو**

معاملةً يُريد القيام بها، فإنه يجب في هذه الحال أن يعرف كيف يتعبد لله بهذه العبادة، وكيف يقوم بهذه المعاملة».

هذا كلام جميل وفيه تفصيل، مثلًا إنسان ما يلزمه يتعلم أحكام العمرة، لكن قال: أنا باعتمر، نقول: يجب عليك أن تتعلم أحكام العمرة، الإحرام، الإهلال، واجبات العمرة، محظورات الإحرام، أركان العمرة، ولهذا بعضُ الناس -ولعلكم سمعتم كثيرًا- يذهب وإذا وجد مكة زحام رجع خلع ثيابه ومشى، بعضهم يسأل بعد عشر سنوات يقول: قبل عشر سنوات أو عشرين سنة اعتمرت ليلة سبع وعشرين ووجدنا زحام ما يُطاق أبدًا، فقلت: بلاش نجي على ساعة، ونزلت الإحرام ولبست الثوب ورجعت، هذا خطأ، الله جل وعلا يقول: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦]، ولتعلموا أيها الإخوة أن العبادة الوحيدة التي إذا دخلها الإنسان يجب أن يتمها هي الحج والعمرة؛ لأن الله قال: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦]، حتى لو كانت عمرة نافلة، لكن صلاة النافلة لو بدأت تُصلي وسمعت صياح ورع قلت: خلاص بروح أصلي في البيت تخرج من الصلاة ما عندك مشكلة، لأنها نافلة، لكن الحج والعمرة لا، إذا دخل ليس على كيفه، ولهذا مثل هذا المسكين ترتب على هذا أمور، خاصة إذا كان عقد على امرأة وما كان عاقد أو جامعها، يترتب عليه أحكام، فهناك أمور يجب عليه ما يحتاج إليه في حياته يجب عليه، هناك أشياء في حق كل مسلم الصلاة الوضوء الصيام، عبادات لابد أن يفعلها، بل كذلك البيع والشراء، كثير من الناس الآن يقعون في مسائل الربوية وغالبهم لا يشعرون.

مثال: تأتي لصاحب البقالة وتقول له: اصرف لي خمسمائة ريال هذه، فيقول: والله ما

عندي خمسمائة عندي مائتين، بعض الناس يقول: خلاص أعطني المائتين وأمر عليك بعدين، بعد ساعة آمر عليك آخذ الباقي، هذا حرام لا يجوز، لماذا؟ لأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أخبر أن الذهب والصرف يدًا بيد، لابد يدًا بيد مِثلًا بِمثل، خمسمائة يعطيك خمسمائة قول ما عندك صرف خلاص أجل أَجعل الخمسمائة معي أعطني مائة بس باعطي راعي السيارة فلوس وسآتيك بعدين، هذا ما فيه بأس.

لكن لابد أن الإنسان يتعلم لأنه يُخشى الإنسان أنه يظن أنه على شيء، وغدًا إذا وقف بين يدي الله يجد أنه... تعلَّم يا أخي، واغشُ مجالس العلم يسَّرها، الآن يسر الله العلم ما تيسر العلم مثل تيسره الآن حتى ولا في زمن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والله أعلم، الآن وأنت مضطجع على فراشك تسمع كلام الشيخ ابن باز، كلام الشيخ ابن عثيمين، تسمع الفقه كله، نعمة عظيمة.

أول لابد أن يهجر الأهل وينفر من قبيلته، لكن الآن تيسر، ومع ذلك التفريط الآن -إلا ما رحم ربي- كثيرٌ في الناس.

إذًا العلم حكم تعلمه، منه ما هو فرض عين واجب على كل إنسان، وهو ما تقوم به عبادتك.

النوع الثاني: فرضُ كفاية، وهو إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، تعليم الناس في المساجد، ما هو فرض عين على كل أحد، إذا كان هناك من يقوم به الحمد لله يكفيه.

وبعضهم يزيد نوعًا ثالثًا: وهو سُنة مندوب إليه مُستحب، وهو تعلُّم سائر العلوم، ولكن هذا القول -والله أعلم- يرجع إلى الثاني أن العلم إما فرض عين وإما فرض كفاية، وفرض

الكفاية أمره واسع ما يجب عليك، لكن إذا اشتغلت به فهو خيرٌ لك وأعظمُ أجرًا.

إذًا يا إخوان، انتبهوا فرضُ العلم، العلم فيه ما هو فرضُ علينا ما يسعنا جهله لابد أن نتعلم كيف نتوضأ كيف نُصلي كيف نغتسل، كيف نتطهر ما هي نواقض الوضوء، ما هي أحكام الصلاة، ما هي أحكام الصيام، ما هي أحكام الزكاة لمن عنده مال ليُزكي، ما هي أحكام الحج والعمرة لمن أراد أن يحج أو يعتمر، ما هي أحكام البيع، ما هو الربا الذي يحرم في البيع لابد أن يتعلم الإنسان هذه الأمور حتى يعبد الله على بينة ولا يقع فيما حرم الله عليه، هذا ما يتعلق بمباحث العلم.

المبحث الذي يليه وهو الرابع: تعريف الهمَّة، الهمة يقول: ابن منظور في **«لسان العرب»**: الهمةُ ما هُمَّ به أو ما هَمَّ به الرجل من أمرٍ ليفعله، تقول: إنه لعظيم الهمِّ، وإنه لصغير الهِمة، وإنه لبعيد الهمةِ والهَمة -بالفتح- فهذه الهمة في اللغة مَن هم بأمرٍ وأراد أن يفعله.

ويقول ابن القيم في تعريف الهمَّة: والهمةُ فعلةٌ من الهم، وهو مبدأ الإرادة، ولكن خصُّوها بنهاية الإرادة، فالهمُّ مبدؤها، والهمة نهايتها كما في **«مدارج السالكين»**.

وعرَّفها الجرجاني بأن الهمة: توجُّه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى الحق لحصول الكمال له أو لغيره، ولعل قوله: (بجميع قواه الروحانية) لا داعي له، هو: توجه القلب وقصده لحصول كمال أمرٍ ونحو ذلك.

هل ورد ترغيبٌ في علو الهمة؟

وردت نصوص في الكتاب والسنة وأقوال السلف.

فمن النصوص الواردة في الكتاب قول الله جل وعلا: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، هذا حث على الهمة سارع بادر، أجعل عندك همة مبادرة.

وقال جل وعلا: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١]

سابقوا إلى مغفرةٍ، هذا حث لابد أن الإنسان يكون عنده همة قوة ومسارعة، وأنه يحتاج إلى بذل المزيد من الجد والاجتهاد.

ومما يدل على ذلك أيضًا مما ذكره أهل العلم قالوا: قوله جل وعلا لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥] ، هذا حث على الهمة، اصبر كما صبروا.

وذكروا قوله جل وعلا: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ﴾ [النور:٣٧] ، هذا حث على الهمة وثناء على هؤلاء الرجال، رجال بحق، ما هي صفاتهم؟ ﴿لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ جاء وقت الصلاة، لو ما في أحد يقول: صلوا أغلقوا الأبواب، كما جاء عن الصحابة إذا سمع المؤذن ولو كان الميزان في يده أو المسحاة في يده تركها وذهب إلى الصلاة، هذا حث كن مثل هؤلاء فأثنى عليهم ومدحهم، ومدحهم وثناؤهم حثٌّ لك ورفعةٌ لهمة كل مسلم أن يفعل كما فعلوا.

ومن نصوص السُّنة أو النصوص التي في السُّنة يؤخذ منها الحثُّ على علو الهمَّة ما رواه مسلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«احرص على ما ينفعُك، واستعن بالله ولا تعجزنَّ»** هذا حث على الهمة، هذه وصية عظيمة، لو يتأمل الإنسان يجد في نفسه تقصير في هذا الباب، ليس كل

الناس يحرص على ما ينفعه، كثير من الناس الآن يحرص على ما يضره إلا من رحم الله، ولا يستعن بالله، ويعجز بعضهم يقول: والله أنا تعبان ما أبغى أروح للمسجد، أنا تعبان جدًّا من هذا العمل توي جاي من العمل، لا يا أخي، الصلاة واجبة عليك، ولهذا الله خلقك من أجل الصلاة، قال جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، والعبادة اسمٌ جامع تشمل الصلا وغيرها، وللأسف وهذا من التفريط البيِّن بعض الناس يعمل في العمل، فإذا جاء نام وسحب ثلاث صلوات أو أربع أو صلاتين كلها يُصليها مرة واحدة، لماذا؟ قال: أنا تعبان يا شيخ عمل مُتعب متعب ما أستطيع، سبحان الله! تستطيع العمل ولا تستطيع الصلاة، انظر إذا تستطيع أن تجمع بينهما فالحمد لله، ما تستطيع أن تجمع بينهما اترك هذا العمل الذي يمنعك من الصلاة، لأن الله قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] ما هو ليعملوا في التجارة وفي العمل، نعم يعمل الإنسان ويستغني ويستعين بالعمل على أمور دينه ودُنياه، لكن الأصل هو العبادة.

ومن نصوص السُّنة الواردة في الحث على علو الهمَّة، ويؤخذ منها الحث على علو الهمَّة: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: **«لو يعلمَ الناس ما في النداء والصف الأولِ، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه»** التهجير: يعني التبكير إلى المسجد، المجيء **«ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح»** والعَتمة: صلاة العشاء، **«لأتوهما ولو حبوًا»** أليس هذا حث على علو الهمة؟ بلى والله، تعال لو تحبو حبوًا، الحمد لله نستطيع أن نمشي، ولهذا الصحابة فقهوا هذا المعنى، يقول ابن مسعود: **«وقد كان الرجل يؤتى به يُهادى بين**

الرجلين حتى يُقام في الصف» رضي الله عنهم وأرضاهم، ما يقدر يمشي وحده يُهادى واحد يمسك عضده اليمنى وواحد عضده اليُسرى يساعدونه حتى يقفون في الصف، مع أنه معذور أمام الله عز وجل، لكن يعرفون أهمية الصلاة وصلاة الجماعة.

ومن النصوص أيضًا ما رواه البخاري ومسلم عن حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: **«اليد العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى، وابدأ بمن تعول، وخيرُ الصدقةِ عن ظهر غِنى، ومن يستعفف يُعفه الله، ومن يستغن يُغنه الله»**، قال ابن بطال: فيه ندبٌ إلى التعفف عن المسألة، وحظٌّ على معالي الأمور، وتركُ دنيئها، والله يُحب معالي الأمور، نعم هذا حث على الهمة العالية، **«من يستعف يُعفه الله»**، ومن النصوص ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي بسندٍ صحيح كما يقول العلامة الألباني أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: **«يُقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتِّل كما كنت تُرتل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آيةٍ تقرؤها»**، والله هذا حث على علو الهمَّة على كتاب الله، أقبل على القرآن، انظر هذا هو الثواب العظيم، ولهذا العلماء يقولون: دخول الجنة برحمة الله، ومنازل أهل الجنة فيها حسب أعمالهم، فلا أحد يدخل الجنة بعمله، لكن الرحمن الرحيم جل وعلا جعل أعمالنا الناقصة الضعيفة جعلها سبب لدخول الجنة لا على سبيل المقابلة والموازاة لا، لكن الله قال: مع أن هذا عملٌ يسير أنا أُدخلكم به الجنة، لكن منازل أهل الجنة في الجنة بحسب الأعمال، ولهذا انظر لهذا الحديث يُقال لقارئ القرآن: **«اقرأ وارق ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آيةٍ تقرؤها»**، هنيئًا لأهل القرآن وأهل ترتيل القرآن.

وأيضًا جاء الحث على الهمة في كلام السلف والصحابة فمن بعدهم، فيُروى عن عمر بن

الخطاب رضي الله عنه أنه قال: **«لا تصغرنَّ همتكم، فإني لم أر أقعدَ عن المكرمات من صِغر الهِمم»** يعني لم أر شيئًا أقعد للإنسان عن المكارم المكرمات والأشياء الكريمة من صِغر الهمم، بعض الناس همته صغيرة، تقول له: ويش رأيك نصلي الفجر في الحرم؟ يقول: والله يا شيخ مشكلة في الحرم نحصل زحام يمكن ويمكن ما يُريد يسوي شيء.

وبعض الناس عنده من الهمَّة ما شاء الله اللهم بارك، كما سنذكر الأدلة على هذا، وهكذا ينبغي للإنسان خلك صاحب همة عالية، لا تستصعبن شيئًا إلا إذا كان الله جل وعلا بين أن هذا الأمر لا يُمكن أن يُفعل، أما إذا كان يفعله بنو آدم، وأنت ليس هناك مانعٌ يمنع من ذلك فلا تستصغر نفسك، وسأذكر إن شاء الله الأثر لاحقًا لكن نأخذ منه قصة زيد لما قال له أبو بكر وعمر: **«اجمعوا القرآن. قال: والله لو كلفني نقل جبلٍ عن مكانه لكان أهون علي»** في زمن زيد ما في دركترات ولا بكلينات ولا شيء يكسر الحجارة، لكن لو يأخذه حصاة حصاة الجبل وينقله من محله يقول: أهون علي من أني أجمع القرآن، لكن استصغر همته قال: ما أقدر، بسم الله، بدأ فجمع القرآن كله، ويحسن أن يُذكر ببعض المثال وإن كان مثال عامي ما هو مثال علم شرعي، لكنه حق، بعض الناس يقول: إذا واجهك شيء عرض لك شيء في حياتك اطلع قدام عشق دبل واطلع قدام لا ترجع وراء، هذا كلام معناه حق، إذا جتك المصائب لا تستكبرها بسم الله، قُم بما تستطيع لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وعواقب الأمور بيد الله عز وجل، وكم من إنسان كان يستبعد أن يحصل مثل هذا، ولعلنا ننظر في شيء من واقع الناس الآن عمارة واحد يعمل له عمارة بمليون مليون ونص، وهو ما عنده شيء عليه ديون، يبدأ ويش نسوي خلنا نبدأ ما شاء الله بعد مدة وبنى العمارة وبعد كم سنة سدد

الديون وانتهى، هذا في أمر الدنيا يجب أن نكون في أمر الآخرة أعظم همةً وعزيمةً، هذه خذها قاعدة تنجح في حياتك، إذا واجهتك صعوبة عقبة لا تستسلم وإلا تضعف، امض استعن بالله، وابذل الأسباب التي تؤدي إلى القضاء على هذه المشكلة وأبشر، فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي يُعين عباده في كل صلاة تقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] ، ومما ذكروا وهذا الأثر عن عمر جاء في **«أدب الدنيا والدين»** للماوردي.

وقال ابن الجوزي: **«من علامات كمال العقلِ علوِّ الهمةِ والراضي بالدون دنيء»** ذكره في **«صيد الخاطر»**.

وقال ابن القيم: **«فمن علَت همته، وخشعت نفسه اتَّصف بكل خلقٍ جميل، ومن دَنَتْ همَّته وطغت نفسه اتصف بكل خلقٍ رذيل»** ذكره في كتاب الفوائد.

وقال أيضًا: **«العلم والعمل توأمان، وأُمهما علوِّ الهمة»**، ذكره في **«بدائع الفوائد»**.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سِعدي: -ومن يقول: السَّعدي غير صحيح- يقول في كتابه **«تيسير الكريم الرحمن»** قال: **«وعامة نصوص الترغيب والترهيب في الوحيين الشريفين إنما ترمي إلى توليد قوةٍ دافعةٍ تُحرك قلب المؤمن وتوجهه إلى إقامةِ الطاعات، وتجنب المعاصي والمخالفات، وإلى بعث الهمةِ وتحريكها واستحداثها للتنافس في الخيرات والأمثلة على ذلك أكثر من أن تُحصى»**.

ثم نأتي على الوقفة الأخيرة، وهي: ذكر نماذج من علو الهمة في بعض مسائل العلم، وهذا الحقيقة باب لا ساحل له، يحتاج بسط، لكن المقام ما يقتضي هذا، لكن سنقتصر على خمسة أمور، وإن كان بعض الأمور والله مهمة، لكن نذكر ما تيسر.

فنقول: أولًا: عليك بعلوِّ الهمة في باب الإخلاصِ بالعلم، جاهد نفسك على الإخلاص قال سفيان الثوري: **«ما جاهدتُ نفسي على شيء ما جاهدتها على الإخلاص»** وهو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أمير المؤمنين في الحديث يقول: **«ما جاهدتُ نفسي على شيء ما جاهدتها على الإخلاص»** والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أشار إلى هذا في الحديث قال: **«أخوفُ ما أخاف عليكم الشِّرْك الأصغر؛ فسُئل عنه؟ فقال: الرِّياء، يقوم الرجل يُصلي»** يقوم يصلي لله، لكن ماذا يحصل؟ **«فيُحسن صلاته لما يرى من نظر رجلٍ إليه»**، طرأ عليه الرياء، فلابد من المجاهدة همة قوية واعلم أن الله جل وعلا لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتُغي به وجهه، كما قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والله يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ أي العباد كلهم ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:٥] ، ويقول جل وعلا أيضًا لنبيه: ﴿فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر:٢]، وقال: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر:١١]، والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: **«إنما الأعمالُ بالنيَّات، وإنما لكل امرئ ما نوى»** فجاهد نفسك، وهذا أحد شرطي قبول العمل، العمل لا يُقبل إلا بشرطين:

أولهما: الإخلاص لله فيه.

والثاني: المتابعة لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيه، فما تجتهد في عبادة لابد تتابع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يكون قد شرعها الله لك أو رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وهذا يحتاج إلى همة عالية، لماذا؟ لأن من طبيعة الإنسان أنه يُحب المدح، يُحب الظهور، وطبيعة الناس حولك يحثونك على هذه إلا ما رحم الله، يكيلون لك من المدح تظن أن شيخ الإسلام ابن تيمية، وأنت إذا طلعت مع الباب قالوا: لا يغرك ترى عاد لارجعت

الأمور، طيب ليش تقول هذا؟ ولهذا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«احثوا في وجوه المدَّاحين التُّراب»**.

أيضًا النَّفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدَّم، فيُحاول يُفسد عليك عبادتك، لأنه عدو، فجاهدوا أنفسكم على هذا، ولتكن عندكم همةٌ عالية.

وذكر ابن رجب في كتاب **«الإخلاص»** عن أحد السلف يقول: كان يمشي مع تلامذته، فجاءهم رجل فقال: إنه قد مات فلان أو في المسجد جنازة يُريدون يُصلون عليها، فقالوا له: هيا، قال: لحظة، قال: فسكت قليلًا، ثم قال: نمضي مشينا نُصلي، فقالوا له: ما الذي حصل؟ قال: إنه كلمني وما كان هذا في نيتي أصلًا، فعقدتُ نيتي وقصدتُ وجه الله ألتمس رضاه بهذا العمل، وهذا مُهم جدًّا استحضار النية الصحيحة.

كثير من الناس الآن يستجيب لدعوة جاره، ودعوة ولد عمه وأخوه، لماذا؟ قال: ما أقدر أخليهم عيب جاري، طيب لماذا لا تستجيب للدعوة وتنوي بهذا إجابة دعوة أخيك المسلم، صلة الرَّحم، استحضر النية الصالحة، واستحضار النية الصالحة ترى ما يحتاج منك حتى كلام لسان يحتاج عقد قلب تنوي بقلبك العمل، تريد به وجه الله.

النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«حتى ما تجعل في فيِّ امرأتك»** لك فيه صدقة إذا احتسبت، فاحتسبوا وأخلصوا وجاهدوا أنفسكم، فالفقيه يجعل كثير من العادات عبادات، والذي لا فقه عنده يجعل العبادات عادات.

من المسائل التي لابد فيها من علوِّ الهمة وهي ضد النوع الأول: الهمة في عدم الرياء يحتاج مجاهدة تلاحظ نفسك، ترى النفس أمارةٌ بالسوء إلا ما رحم ربي، وكما قدمنا -قبل قليل- النفس والشيطان والناس، أمور كلها تدعو، فلابد من المجاهدة، لأن الله جل وعلا يقول: **«أنا أغنى الشركاء عن الشِّرك، من أشرك معي غيري تركته وشركه»** انتبه، ولمَّا ذكر في الحديث في صحيح مسلم عن سليمان بن يسار قال: **«تفرق الناس عن أبي هريرة، فقال له ناتل أهل الشام: أيها الشيخ، حدِّثنا حديثًا سمعته من رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: نعم، سمعت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استُشهد، فأُتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، فقال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدت، فقال: قال الله: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال: جري، فقد قيل: قال الناس شُجاع، حصلت جزاءك في الدنيا، قال: ثم أمر به أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النَّار، ورجلٌ تعلَّم العلم وعلمه، وقرأ القرآن فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلَّمت العلم وعلمته، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلمَ ليُقال عالم، وقرأت القرآن ليُقال هو قارئ، فقد قيل: ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجلٌ وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيلٍ تُحب أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها، قال: كذبت، ولكن فعلت ليُقال: هو جواد، فقد قيل: ثم أُمر به فسُحب على وجهه ثم أُلقي في النار»**.

قال أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: **«إذا كان هؤلاء الثلاثة فُعل بهم ما فُعل فكيف ببقية الناس»** عالم ومُجاهد ومُنفق، إذًا لابد من مجاهدة النفس، لابد تكون عندك

همةٌ عالية في أطر النفس وتنحيتها ومنعها من الرياء في العلم وفي غيره.

ويدل على ذلك أيضًا ما رواه الإمام أحمد وأبو داود بسندٍ صحيح كما يقول الألباني: أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«مَن تعلَّم عِلمًا مما يُبتغى به وجه الله لا يتعلَّمه إلا ليُصيب به عرضًا من الدنيا، لم يجد عرْف الجنة يوم القيامة»** نسأل الله العافية.خاصة طلاب العلم انتبهوا.

ويقول أيضًا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الحديث الذي رواه ابن ماجه بسندٍ صحيح قال: **«مَن تعلم العلم ليُباهي به العلماء، أو يُماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم»**.

انتبه! أجعل عندك همة عالية جاهد هذه النفس، لئلا يكون النتيجة مؤلمة.

وأيضًا مما ينبغي ترتفع همة المسلم تكون عالية تحصيل العلم، والصبر عليه، لابد أن يكون عندك همة عالية في تحصيل العلم، العلم ما يأتيك هكذا وأنت مستيقظ، كما قال يحيى بن أبي كثير: **«لا يُنال العلم براحة الجسد»**، لابد أن تبذل وتجد وتجتهد، وكما قال الشافعي: **«أعطي العلم كلك يُعطيك بعضه»**، أعطي العلم كل جهدك يُعطيك بعضه.

وقد قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الحديث الذي رواه البزار والبيهقي في **«الشعب»** وابن أبي خيثمة في كتاب العلم وصححه الألباني عن ابن عباس أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«منهومان لا يقضي واحد منهما نهمته: منهومٌ في طلب العلم لا يقضي نهمته، ومنهوم في طلب الدنيا لا يقضي نهمته»**.

فالحاصل من الحديث: أن الإنسان ينبغي أن يكون عنده حرص ونهم في طلب العلم وتحصيله.

ومما يدل على ذلك أيضًا: ما رواه البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده أي بعد معركة اليمامة، لأنه استحر القتل في القراء، فقال عمر: يا أبا بكر، اجمع القرآن القتل أراه استحر أي اشتد في قُراء القرآن يموتون ويذهب القرآن معهم، لابد من جمع القرآن، فقال أبو بكر: يا عمر، كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله، قال: والله إنه لخير، فما زال يُراجعه حتى وافق أبو بكر، ثم أرسل إلى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه الذي قال: «**أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر: «إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلتُ لعمر: كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري في ذلك، ورأيتُ في ذلك الذي رأى عمر**» قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجلٌ شاب عاقلٌ لا نتهمك. رجل شاب، الشباب زهرة العُمر في العلم وغيره، وإذا ما تعرفون يا شباب اسألوا كبار السن، الشباب زهرة العُمر، كثير من الأمور الآن تقضيها بأريحية رحابة صدر، رغبة إذا تقدم العمر كثير من الأمور بالقوة تمشي، تجاهد نفسك مجاهدة، الشباب شأنه عظيم، قال: «**إنك رجلٌ شابٌّ عاقل لا نتهمك، وقد كنتَ تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، فو الله لو كلفوني نقل جبلٍ من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن**» الهمة، «**قلتُ: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن اجمعه من

العُسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحدٍ غيره»، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة:١٢٨] حتى خاتمة براءة، فكانت السورة عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها.

ومحلُّ الشاهد: كيف صبر زيد وتحمَّل، لكن قد يأتيك بعض الطاعنين، وأظن بعض أهل الشبهات يقول: أنتم تقولون: القرآن متواتر، طيب أنتم هنا في صحيح البخاري تقولون: إن آخر سورة التوبة ما وجدها زيد بن ثابت إلا مع أبي خزيمة الأنصاري، نقول: ليس معنى هذا أنه لا يعرفها إلا أبي خزيمة، ولا يعرفون الناس إلا أبا خزيمة لا، أولًا أبي خزيمة هذا شهادته بشهادة رجلين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«شهادتك بشهادة رجلين»**.

والأمر الثاني: أن زيد يعرف هذه السورة، يعرف هذه الآية، ولهذا ما وجدها عند الناس إلا عند هذا الرجل.

أيضًا لما تلاها الناس كلهم تذكروها، نعم أي والله سمعناها من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالقرآن متواتر كله ما فيه مطعن.

ومما يدل له أيضًا ما رواه البخاري عن محمد بن سيرين قال: **«كنتُ عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشطان من كتَّان، فتمخط فقال: بخٍ بخٍ»**، أبو هريرة يتمخط في الكتَّان، والكتَّان مثل القُطن مثل المناديل، لكن هي أنعم. قال: **«لقد رأيتُني وإني لأخرُّ فيما بين منبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حُجرة عائشة مغشيًا عليَّ، فيجيء الجائي فيضع رجلي على عُنقي ويرى أني مجنون، وما بي من جنون ما بي إلا الجوع»**.

هذا فيه فوائد:

أولًا: لا مانع إذا تبين أنه مجنون أن تضع رجلك على عُنقه إذا كنت تقرأه عليه، ويحتاج أنك تشد عليه ما في بأس.

الأمر الثاني: انظروا همة أبي هريرة لزم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على ملئ بطنه حتى أنه من شدة الجوع يسقط على الأرض يظن الناس أن فيه صرع ما به جنون إلا الجوع.

وجاء في البخاري ما يُبين ذلك يقول أبو هريرة: **«يقولون: إن أبا هريرة يُكثر الحديث والله الموعد»** ويقولون: **«ما للمهاجرين والأنصار لا يُحدثون مثل أحاديث أبي هريرة، وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصَّفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عملُ أموالهم، وكنتُ امرءًا مسكينًا ألزم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون»**.

وقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يومًا: **«لن يبسط أحدًا منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئًا أبدًا، فبسطتُ نمرةً لي عليَّ ثوبٌ غيرها حتى قضى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مقالته ثم جمعتها إلى صدري، فو الذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا، والله لولا آيتان من كتاب الله ما حدثتكم شيئًا أبدًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾** [البقرة:١٥٩] **إلى قوله: «الرحيم»** رواه البخاري.

إذًا هذا يدل على شدة الهمَّة في العلم تحصيله والصَّبر عليه، أبو هريرة أسلم السُّنَّة السابعة أي ثلاث سنوات ومات النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولهذا هو أكثر الصحابة حديثًا على الإطلاق أكثر حتى من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم، لماذا؟ لأنه لزم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ

وببركة دعاء النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ له، فالصحابة كان بعضهم المهاجرون الذين جاءوا من مكة يذهبون للسوق وما عندهم أموال يروح يبيع ويشتري ليأكل ويشرب، والأنصار عندهم مزارع في المدينة فيذهبون إلى مزارع، يقول: أنا ما أفعل شيء من هذا، لماذا؟ فقط لزمت النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أريد تحصيل هذا العلم حتى إني أُصرع من الجوع، وتعرفون الحديث الآخر لما أُهدي للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لبن فقال: اذهب نادي أهل الصُّفة، فقلت: هذا لبن قليل لو أعطاني أنا وهو، قال: لكن ما لي بد، فذهب إلى الصِّفَة ودعا أهل الصِّفَة فجاؤوا وشربوا جميعًا وبقي أبو هريرة قال له النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: بقي أنا وأنت، اشرب، فشرب قال: اشرب، فشرب، قال: اشرب، قال: حتى قلتُ: لا أجد له مسلكًا.

وأيضًا فيه همة أهل الصُّفة جاؤوا ليتعلمو العلم، ما راحوا يبيعون ويشترون، لابد من الهمَّة في تحصيل العلم والصبر على المشاق.

ومن هنا نقول: إياك إياك والاشتغال بالدُّنيا، نعم اعمل اشتغل بما يُصلح حالك، لكن تنافس تُريد التجارات الأموال الكثيرة اشتغل بما يكفيك قوتًا، إذا كنت موظفًا في الدولة وأعطاك الله راتب، والحمد لله اترك عنك المزايدات وطلب كثرة الأموال، وهذا من أهم ما يؤثر على الناس كلهم، يقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأصحابه: **«والذي نفسي بيده لا يزيغُ قلب أحدكم إن أزاغه شيء إلا الدُّنيا»** يقول للصحابة وليس لنا، فينبغي للإنسان أن يتفطن لهذا الأمر.

ومما يدل على ذلك أيضًا: ما رواه ابن سعد في الطبقات، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«لما قُبض رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قُلتُ لرجل من**

الأنصار: هلُم فلنسأل أصحاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فإنهم اليوم كثير، فقال: «واعجبًا لك يا ابن عباس، أترى الناس يفتقرون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من فيهم» هذا كثير من الناس شاب عمره خمسة عشر سنة تعلم العلم، بكرة يحتاجون الناس يقول: أنت ووجهك يخلون المفتي ويخلون الشيخ صالح الفوزان نخليهم يجون يسألونك أنت، يا أخي، الأيام تمر وتمشي وهؤلاء يموتون ويذهبون، وتمر بك الأيام حتى تبقى على رأس الهرم ولا يرجع إليك الناس، فضيحة إذا كنت ما تعرف شيء، قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **«إنه لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور العلماء، وإنما يقبضه بقبض العلماء حتى إذا ذهب العلماء اتخذ الناس رؤوسًا جُهالًا»**، الناس لابد يتخذون رؤوس، لكن إن كان جهل ضل وأضل، وإن كان على علم نفع نفسه ونفع الناس.

قال: **«فتركت ذاك وأقبلتُ أسأل أصحاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ»** تركت الذي قال: ما أحد سامع لي، **«وأقبلتُ أسأل أحد أصحاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وإن كان يبلغني الحديث وأنا رجل، فآتي بابه وهو قائلٌ، فأتوسد ردائي على بابه، فتسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ما جاء بك؟ هل أرسلت إلي فآتيك، فيقول: لا، أنا أحق أن آتيك، فقال: فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقلُ مني»**.

سبحان الله! خذوا من هذا عبرة، ابن عباس ابن عم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يروح عند بابه وتسفى الريح عليه، الآن ما يصبر يقول: حر حرارة شوي زحمة، ما أقدر أحضر في زحام، في رائحة الناس يعرقون ما أريد أحضر، أين الصبر على مشقة العلم؟ حتى تحصل عليه، بعد

ذلك النهمة في الرحلة إليه.

وهذه ملخص الكلام فيها ما نريد أن نذكره بالتفصيل.

فنقول: لابد أن يكون عندك همة في الرحلة لطلب العلم وتحصيله، فقد رحل نبي الله موسى عليه السلام إلى الخضر، وركب السفينة وركب البحر لأجل أن يلقى الخضر ويسمع منه.

وأيضًا ثبت أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه سمع حديثًا عند عبد الله بن أُنيس في الشام، وهو في المدينة قال: «**فاشتريت بعيرًا ثم شددتُ عليه رحلي فسرتُ عليه شهرًا حتى قدمتُ عليه الشام، فإذا عبد الله بن أُنيس، فقلتُ للبواب: قُل له: جابر على الباب، فقال ابن عبد الله، قلتُ: نعم، فخرج يطأ ثوبه، فاعتنقني واعتنقته، فقلتُ: حديثًا يبلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص فخشيت أن تموت أو أموتُ قبل أن أسمعه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يُحشر الناس يوم القيامةِ، أو قال العباد عُراةً غُرلًا بُهمًا، قال: قُلنا: وما بُهمًا؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يُناديهم بصوت يسمعهم من بعُد كما يسمعهم من قرُب، أنا الملك أنا الدَّيان، لا ينبغي لأحدٍ من أهل النار أن يدخل النار وله عند أهل من الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحدٍ من أهل النار عنده حق حتى أقتصه منه حتى اللطمة، قال: قُلنا كيف؟ وإنما نأتي الله عز وجل عُراة غُرلًا بُهمًا؟ قال: بالحسنات والسيئات**» قصاص، انظروا رحل شهر اشترى بعير مثل أن يشتري له سيارة عندنا جديد، وذهب إلى الشام شهر كامل في الصحراء يتعرض للخطر والسباع والهوام والجوع وكذا من أجل يسمع حديث واحد.

الآن أحاديث وآيات بس افتح جوالك واسمع، والله أني متكاسل إلى الله المشتكى!

ونختم بالكلام على الهمة في استغلال الوقت، وحفظه وهذا الحقيقة بابٌ واسع.

لكن الوقت يا إخوان مهم جدًا، الله جل وعلا أقسم به: ﴿والفجر﴾ ﴿والضحى﴾ ﴿والعصر﴾ والله لا يُقسم إلا بشيءٍ عظيم، ولهذا قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **«اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»** هذا هو الوقت استغل هذه الحياة، وهذا الحديث رواه الحاكم وصححه الألباني وغيره.

فالوقت مُهم، ولهذا يقول ابن القيم: إضاعة الوقت أشدُّ من الموت، لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها ولابد منه.

ومما يدل على ذلك أيضًا: يقول داود الطائي: **«كان داود الطائي يشرب الفتيت، ولا يأكل الخبز، فقيل له في ذلك؟ قال: بين مضغ الخُبز وشُرب الفتيت قراءة خمسين آية»**. حريصين على وقتهم.

وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول: **«أثقلُ الساعات علي ساعةٌ آكل فيها»** أي تقطع علي أنقطع عن العلم، ذكره في **«الحث على طلب العلم والاجتهاد»** لأبي هلال العسكري.

وقال محمد بن ثابت البُناني: **«ذهبتُ أُلقن أبي وهو في الموت لا إله إلا الله، قال: قُل: لا إله إلا الله، قال: يا بني، دعني فإني في وردي السادس أو السابع»** يقرأ من القرآن.

ومن ذلك ما جاء في **«سير أعلام النبلاء»** أن الإمام البخاري قال: جاء مع رجلين اختلفا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول: إنك تختلف

معنا ولا تكتبن فما تصنع؟ قال فقال لنا يومًا بعد ستة عشر يوم: إنكم قد أكثرتما علي، وألححتما، فاعرضا علي ما كتبتما، فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث كتبوها، قال: فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نُحكم كتبنا من حفظه، ثم قال: أترون أني أختلف هدرًا وأُضيع أيامي» تظنون أني ألعب ، أروح وآتي مجانًا، يعرف قيمة الوقت.

ومما يدل على ذلك ما ذكره الحافظ الذهبي في **«تذكرة الحُفَّاظ»** قال عبد الرحمن بن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«كُنا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقةً، كل نهارنا مقسمٌ لمجالس الشيوع، وبالليل النسخ والمقابلة»** ليس نوم بعد. قال: **«فأتينا يومًا أنا ورفيقٌ لي شيخًا إلى شيخٍ فقالوا: هو عليل مريض الشيخ ما هو مدرس اليوم، قال: فرأينا في طريقنا سمكةً أعجبتنا فاشتريناها، فلما صِرنا إلى البيت حضر وقت مجلس درس، فلم يمكنا إصلاحه، ومضينا إلى المجلس، فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام، وكاد أن يتغير فأكلناه نيئًا، لم يكن لنا فراغ أن نعطيه من يشويه»**، ثم قال: **«لا يُستطاع العلم براحة الجسد»**.

أين هذه الهمم؟ همم عالية، ومنها ذكر ابن جرير: مكث أربعين سنة كل يوم يكتب أربعين ورقة، أربعين ورقة كل يوم، أنت الآن لو تكتب خمس صفحات تقول: انفكَّت يدي، هذه أربعين ورقة.

وكان ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ معروف بسوء الخط، يقولون: إذا بدأ بالسطر ما يرفع القلم قال، ويصل الله قال الله تعالى، يصل كلها ما يرفع القلم إلا إذا أراد أن يبدأ السطر الثاني، من حرصهم على الوقت ومعرفتهم قيمة الوقت.

وقال ابن عقيل: **«إنه لا يحل لي أن أُضيع ساعةً من عمري حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة وبصري عن مطالعة أعملتُ فكري في حالة راحتي، وأنا مستطرح فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره»**.

حرص على الوقت همة.

وقال أيضًا: **«أنا أُقصِّر بغاية جُهدي أوقات أكلي حتى أختار شف الكعك وتحسيه بالماء على الخُبز، لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ توفر علي مطالعةً أو تسطير فائدةٍ، ثم أُدركها فيه»** كما في طبقات **الحَنَابِلَة**.

وقال ابن القيم: **«حدثني أخو شيخنا عبد الرحمن بن تيمية عن أبيه عبد السلام، قال: كان الجد أي المجد ابن تيمية جد شيخ الإسلام، قال: كان الجد إذا دخل الخلاء يقول لي: اقرأ في هذا الكتاب وارفع صوتك حتى أسمع وأعرف»** كما في **«روضة المحبين»**، في دورة المياه ما يضيع الوقت، يقضي حاجته ويسمع ما في إشكال، فما في مانع أنك تسمع وأنت في الحمام، لكنك ما تشغله داخل الحمام، ولا تذكر الله داخل الحمام.

وسُئل عبد الرحمن بن أبي حاتم عن اتفاق كثرة السماع له وسؤالاته لأبيه؟ فقال: **«ربما كان يأكل وأقرأ عليه، ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل الخلاء وأقرأ عليه، ويدخل البيت في طلب الشيء وأقرأ عليه»** كما في سير أعلام النبلاء.

هكذا هذه الهمة العالية.

ومنهم شيخنا الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان وقته كله في العمل، ونفع الناس، وحصل لي في إحدى السنوات حججنا وزرنا الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مخيمه من بعد صلاة المغرب، وحضرنا

درسه وأسئلته، وجاء إليه الأمير نايف بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وسلم عليه، ومكث عنده، وطيَّبه وأمرهم أن يطيبونه ويصبون القهوة، وهو يُفتي ويُعلم، ولا ينقطع عن درسه، ثم بعد الصَّلَاة مشينا في الطريق والطريق كان زحام على أقدامنا، ففي أثناء ما نمشي لحقت بنا السيارة وتركنا الطريق، لما مر بجوارنا وإذا سيارة الشيخ ابن باز إذا هو في المرتبة الأخيرة وبجواره الكاتب معه كتاب يقرأ والشيخ يستمع له، فسألنا أين ذهب؟ قال: كان عنده اجتماع في وزارة الداخلية مع الأمير نايف، والمبنى ما يجيء مائتين متر عنده، كان يقرأ في هذا الوقت.

كان يقول له: يا شيخ، لماذا ما ترفه عن نفسك وتطلع كشتة يعني طلعة، يقول: فيضحك ويقول: أنا أكشت في سطح البيت ما في وقت.

شيخنا الشيخ ابن عثيمين ذكر عنه الشيخ العباد قال: كنا في اجتماع في الحج لجنة قال: لما انتهينا وزعوا علينا الأوراق الاجتماع، قال: ما يحتاج ويش نسوي ما أنا فاضي له خذوه.

الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان آية في حفظ الوقت والهمة، كان صاحب دكان ساعات، كان يغلق الدكان ويذهب مكتبة الظاهرية، فيمكث فيها من الصباح إلى الساعة الثانية عشر ليلًا حتى أعطوه مفتاح للمكتبة وفهرس المكتبة الظاهرية مجلدات فهرستها بسبب اطلاعه، وكان يأتيه بعض السائلين يسأله والكتاب في يده، يقول: يستمر نظره يقول: ما يصرف نظره إلى السائل، يستمع وعينه في الكتاب ويجيبه.

وذكروا قصة طريفة أختم الكلام بها عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقولون: مرةً نادى الألباني نجَّارًا من النجارين قال له: أُريد أن تقلب باب المكتبة، بدل من أن يفتح الجهة اليمين تجعله يفتح

الجهة الشمال، فنظر إليه النجار قال: ما السر؟ قال: يا شيخ، يمين وإلا شمال ما مشكلة، قال الشيخ الألباني: تستطيع؟ قال النجار: نعم طبعًا أستطيع، لكن قُلي ما السبب، قال الشيخ الألباني: أنا وضعت مكتبتي هنا، فإذا كان الباب يفتح هكذا عن يمين سأضطر أن أن أمشي خمس خطوات زائدة لما أصل إلى المكتبة، فأنا أخرج من المكتبة خمس صلوات في اليوم والليل وقد أخرج مشوار لأغراض البيت والمحاضرة، أو كذا، فهذه سبع مرات كل مرة بين ذهاب وإياب هذه حوالي رُبع ساعة أو ثلث ساعة ضاعت مني في الأسبوع، كم سيضيع في الشهر؟ لكن إذا فعلنا هذا تكون رِجل في الباب ورجل على المكتب فلا أضيع وقتي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذه هي الهمة، وهذا الذي ينبغي أن يُستفاد ويحرص الإنسان على وقته.

أسأل الله العلي العظيم أن يشكر لكم حسن استماعكم، وقد أطلنا عليكم، لكن الحقيقة من الشوق والفرح في العلم وطلاب العلم بعد هذه الجائحة التي نسأل الله عز وجل أن يزيلها عنا بالكلية أسأل الله أن يوفق الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يختم بالسعادة آجالنا، وبالصالحات أعمالنا، وأن يجعل آخر كلامنا كلمة التوحيد لا إله إلا الله وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد.